محاولات الإنهاض باللغة العربية وإنقاذها

إنك لخبير بما للغة العربية من مكانة وتقدم في الفصول السابقة من هذا الكتاب قبل حضور الإفرنج إلى هذه البلاد باستعماره، وإنكليزيته، وعقيدته. وإنك لعلى علم بما قامت به اللغة الإنكليزية مع العربية من الصراع منذ بدء لصوقها بألسنة الشعب النيجيري من مطلع نزول الأوروبيين على هذه البلاد ووضعهم كابوسهم على أهل نيجيريا وعلى حركاتهم، ومروءتهم، وإسلامهم، وإكسائهم أهلَ البلاد ما يرتضون به من لباس، وعقيدة، ولسان، حتى يكون جميع البلاد طوع أمرهم ورمز إرادتهم.

لم يجد الإفرنج منافسًا ينافسهم في نيجيريا غير المسلمين الذين كانوا يدافعون عن مروءتهم الدينية تحت الدين الإسلامي، ودامت تَلْتَفِتُ ساق المسلمين بساق المبشرين في ميادين الصراع في الدعوة، والإمارة، والإدارة، والتعليم. فكبكبت الإنكليزية على وجه العربية ردحًا من الزمن قبل الاستقلال، حتى كادت تقضي عليها، إلا أن للعربية أيضًا في البلاد رجالاً متيقظين.

بدأ ضغط المسيحية على الإسلام والإنكليزية على العربية في هذه البلاد منذ ١٨٤١م، وصار جوهر هذا الضغط من حيث الاستعمار فعلاً ماضيًا منذ عام الاستقلال ١٩٦٠م، وصارت قشوره من حيث لغة هؤلاء المستعمرين فعلاً مستمرًا في البلاد

حتى اليوم، وربما إلى الأبد. وكانت هذه اللغة تصارع اللغة العربية من مدخلها حتى اليوم، ولكن هانت قيمتها مِن مَجْلَى الاستعمار عن هذه البلاد. ومن ذلك الوقت بدأت اللغة العربية تتحرك جاهدة النهوض من المصرع الذي صرعتها عليه الإنكليزية، وقد عاونها رجال الدين على النهوض، وإخراجها من طين اللغة الإنكليزية اللازب، فقامت على ساقيها على الصعيد الصلب، من بعد عام الاستقلال النيجيري.

▪ رجال اللغة العربية في نيجيريا وقيامهم لإنقاذها

قام رجال الدين واللغة العربية في نيجيريا بتعزية اللغة الإنكليزية بعد جلاء أهلها عن هذا الوطن في كنف الاستقلال، ورثوا اللغة الإنكليزية بمدح وقدح بعد رفع الاستعمار كابوسه عن البلاد وجلائه عنها إلى حافرته بعد أن باض بيضات الإنكليزية، والغزوة الفكرية، والمسيحية، في دهاليز كل الشعب النيجيري؛ فأكل الجمّ الغفير نحو الخمسين في المائة من المسلمين وغير المسلمين من بيضتي الإنكليزية، والغزوة الفكرية؛ فكانت البيضة المسيحية مشوية لربع سكان البلاد.

إن النيجيري الحقيقي منذ ضغط الإفرنج على البلاد، خصوصًا منذ سنة ١٨٥٠م إلى عام الاستقلال، يعترف اعترافًا حقيقيًا بأنه نيجيري الدم، بريطاني العرف، والعقل، والفلسفة. وأما

المسلمون الحقيقيون في البلاد فمتحمِّلون ومتصبرِّون مع الإنكليزيين الذين في أفواههم كن فيكون البلاد.

هذه من مصائب الدهر التي يصبح ويمسي فيها المسلمون مدة قرن وعقد أو عقدين۞ في هذه الديار. ولما فتحوا عيوننا صوب مكايداتهم، ولقنونا جوهر لغاتهم، أصبحنا لهم بطائن وأندادًا، وأصبح لا فرق بيننا وبينهم إلا اللون، الأمر الذي حملنا على طلب الحرية والتحرر.

ألستَ تدري، أن المرء، يكون عبدًا ذليلاً إذا كان تحت حوزة من هو أذكى، وأثقف، وأفهم منه. وإذا استمرّ الأمر هكذا، بدون أن يعلّمه أو يكشف له الرئيس سرًّا، ظلّ معه على حاله. وأما إذا بدأ الأمر ينكشف، والغيب ينجلي، وبدأ يتعلّم ويعرف من أسرار سيده، فصار نظيره، لا يطول به المكث بعدئذ حتى ينازعه في التحرر والاستقلال.

هذا ما حدث بيننا وبين المستعمرين المستعبدين في الأمس حين اسوداد الوجوه، ولما أزالوا ما بعيوننا من القذى؛ تفتّحت العيون، وبدأنا نطالبهم حقوقنا، الأمر الذي انتهى أخيرًا إلى الاستقلال ١٩٦٠م.

ومنذ أن أقام أهل البلاد حفلة التوديع للإفرنج ١٩٦٠م، وقام علماء الإسلام بتعزية اللغة الإنكليزية يتيمة البرطانيين في

۞ كان أول نزول المبشرين في نيجيريا في سنة ١٨٤١م، وترعرعت دعوتهم حتى استقامت سنة ١٨٥٠م.

نيجيريا، بدأ الشعب النيجيري يرفعون رؤوسهم تحت الحرية الاستقلالية، وصار كل واحد يوجّه موهبته صوب التجربة والتمرين. وحينئذ زاد عدد من العلماء يمارسون فتح المدارس العربية الإسلامية لإيقاظ اللغة العربية من سبات نومها، ولإنقاذ تلك اللغة من المهالك التي قد شيعتها بها الإنكليزية إثر ضغطها عليها لمدة قرن وعقدين.

الحق الواضح أن لعلماء الإسلام حركة ملموسة لتطوير اللغة العربية من عهد دخولها هذه الصقعة حتى اليوم، وما دام الإسلام يتطور، تكون اللغة العربية هي الأخرى تتطور وتزدهر. وأما عن تطور اللغة العربية وإنقاذها علماء الإسلام من الغرق في بحر الاستعمار البريطاني، فيكون في هذه البلاد على عهدين زمانيين:

ـ العهد الأول : ما كان قبل الاستقلال وبعد سكون حركة الجهاد العثماني، ويكون مبدأ ذلك بنزول العالم الأستاذ الشيخ عبد الكريم مرادي الطرابلسي في لاغوس ١٨٩٠م. وبعد ثلاثة أعوام من نزول هذا العالم، نزل الدكتور ويلمت بليدن الذي يفهم العربية والإنكليزية في لاغوس أيضًا من سيراليون ١٨٩٣م، ليصبّ الماء البارد على الثورة الناشئة بين المسلمين والمبشرين في المدارس، ومطالبته فِكْتَوْرِيَا ملكة إنكلترا في ذلك الوقت فتح مدرسة خاصة لأبناء المسلمين على غرار ما كان لهم في سيراليون، فكان الأمر رهن إشارته.

فمن ينكر عليك أيها القارئ لو قلت؛ إن الأستاذ عبد الكريم مرادي الذي كانت له ثقافة عريقة في العلم وفي كل شيء بواسطة كثرة جولانه في العالم، وقد طاف كما تقدم أن قلنا غرب إفريقيا من سيراليون، وغمْبيا، وغانا، ونيجيريا، وآسيا، وأوروبا ❁؛ وعامل مع أجناس مختلفة من العرب، والإفرنج، والأفارقة؛ وعرف بطن كل جنس وفلسفته. فمن ذا الذي يرد عليك لو قلت إنه هو من نفخ في مناخر مسلمي نيجيريا بالرفض وبالانفصال عن المدارس النصرانية عند نزوله في نيجيريا في ١٨٩٠م، فثارت الثورة حينذاك بين المسلمين والمبشرين، ثم شهد على ذلك مجيء الدكتور ويلمت بليدن في ١٨٩٣م لإسكان الثورة. لما قد شهده في سيراليون، بتأسيس مدرسة خاصة لأنباء المسلمين في نيجيريا، وتم ذلك سنة ١٨٩٧م. فمن ذا الذي يجحدك لو قلت إن مجيء هذا العالم المثقف العربي إلى أوساط المسلمين في نيجيريا، هو الذي من جانب، غاظ المبشرين ودغدغ آباطهم، لأنهم شعروا فجأةً بأن نورًا وقادًا قد نزل على المسلمين، فصاروا أشد إنكارًا لهم من ذي قبل، فانتقموا بذلك بتعلُّمهم اللغة العربية ليحرفوا بها الكلم من بعد مواضعه، ومن أثر ذلك ترجمتهم القرآن إلى لغة يوربا، كما مرَّ بنا في الفصل الثالث.

❁ راجع الفصل الثاني، تحت : المدارس العربية في نيجيريا.

ولقد نزل الأستاذ عبد الكريم مرادي إلى نيجيريا حينما كانت نار التبشير الصليبي تتلظى، قام هو أيضًا بتدريس المسلمين الدراسات الإسلامية واللغة العربية في نيجيريا، ليعادل به كفة التبشير، كما فعل في البلاد التي قد وطأها قبل نيجيريا. فقد أسس بلاغوس مركزًا للتعليم، وله مؤلفات مطبوعة عديدة. وأسس كذلك منظمات، واشترك في إنشاء جمعيات، منها جمعية أنصار الدين الأولى.

وللأستاذ مرادي تلاميذ في بلاد يوربا، وفي سيراليون، وغَمْبِيَا، وكَنُوْ. ومن تلاميذه في لاغوس الحاج أبو بكر أوْتُنْ، والحاج عبد العزيز أوْشَوْلَوْنْغِيْ، والحاج إسْكَنْدَرْ، توفي الأستاذ مرادي رحمه الله في مدينة كَنُوْ ١٩٢٦م[1].

ومن وقت نزول الأستاذ مرادي بدأ إنقاذ اللغة العربية من أيدي المبشرين من سنة ١٨٩٠م، فقد أدركه على هذا النضال المبارك الأستاذ محمد مصطفى الشامي نزيل لاغوس ١٩٠٤م، فشاركه في النضال بفتح مدرسة بها، وبتأليف كتابه: مفتاح اللغة العربية. فقد لعب كتابه هذا دورًا هامًا في مرحلة الانتقال من الأسلوب القديم إلى الحديث[2].

قامت رجالات الإسلام واللغة العربية بعد الأستاذين العربيين في البلاد يتأسونهما في تأسيس المدارس العربية الإسلامية، فكان

---

[1] نمو الإسلام بين اليوربا ، ص ص ـ ١٣٤/١٣٦.

[2] المرجع السابق للألوري، ص ١٧٥.

من أوائل هؤلاء الشيخ محمد اللبيب الإلورني المتوفى ١٩٢٢م، ثم تعاون أمراء الشمال في تأسيس مدرسة الشريعة المنفطمة من المدارس الحكومية ١٩٣٠م. وتعرف اليوم بمدرسة الدروس الإسلامية العالية بشَاهُوشِي في مدينة كَنَوْ۞، ثم جاءت مدرسة الشريعة الأخرى المعروفة اليوم بمدرسة العلوم العربية التي أسسها أمير كَنَوْ ١٩٣٤م في مدينة كَنَوْ أيضًا. ثم تلي المدرستين في بلاد يوربا المدرسة الخراشية الثانوية للشيخ خراشي محمد الثاني أوْدَوْكُنْ في مدينة إبادن ١٩٤٥م، ثم مركز التعليم العربي الإسلامي الذي أسسه المرحوم الشيخ آدم عبد الله الألوري في أبَيْكُوتَا ١٩٥٢م وانتقل إلى أغيغي بلاغوس ١٩٥٥م، ثم المعهد العربي النيجيري لمؤسسه الشيخ مرتضى عبد السلام ١٩٥٨م في مدينة إبادن أيضًا.

ذلك الغيض من فيض المدارس العربية المشهورة قبل الاستقلال اللاحقة بالركب الأول من حركات رجالات الإسلام واللغة العربية لإنقاذ هذه اللغة من كابوس الاستعمار. وهناك

۞ فلربما لا يبعد عن الصواب لو قلنا إن الأستاذ عبد الكريم مرادي الطرابلسي الذي نزل بلاد يوربا ١٨٩٠م، والذي فتح عيون مسلميها على مكايد الإفرنج، ونفخ في مناخرهم لرفض التعلّم الإنكليزي الخالي من العربي الإسلامي حتى جمعوا رؤوسهم لتأسيس الجمعيات الإسلامية التي فتحت المدارس العربية الإسلامية لأبناء المسلمين في بلاد يوربا، فلربما لا يبعد عن الصواب لو قلنا بأنه هو نفسه من أشار لأمراء بلاد هوسا بالانفصال من المدارس الحكومية حتى فتحوا مدرسة الشريعة ١٩٣٠م في مدينة كَنَوْ، إذِ المعروف أن هذا الأستاذ كان يتابع الإفرنج، وكأنما بُعث لمراقبتهم ولإبطال سحرهم، وقد توفي في مدينة كَنَوْ ١٩٢٦م بأربعة أعوام قبل تأسيس مدرسة الشريعة.

عدد كبير من العلماء، قاموا قبل وبعد هؤلاء المذكورين هنا، وكانت لهم قوة الفيل أو قوة الأسد في هذا الحقل، تخرج على أيديهم جهابذة من العلماء في المدارس الدهليزية، أو مما هي أرقى منها، ودون المدارس المخصوصة بالذكر هنا، جزى الله الجميع، وشكر سعيهم، ورحم من ماتوا منهم، وأمدّ في أعمار الباقين... آمين.

- العهد الثاني : وأما الركب الثاني من العلماء الذين قاموا بإنقاذ اللغة العربية من همجات الإنكليزية، فيبدأ عصرهم مما بعد الاستقلال مباشرة من سنة ١٩٦١م، ذلك لجلاء سفراء الإنكليزية من البلاد في ذلك الوقت، وتغيير أوجه السياسة إلى الوطنية، مما غيَّر من أوضاع البلاد بوجه عام.

تغيرت الأوضاع الدراسية بالنسبة للتعليم العربي الإسلامي في المدارس الحكومية، ولكن كل ما في ذلك لا يغني فتيلاً مما يضافر الطالب المسلم لفهم أصول دينه للعبادة اليومية فضلاً عن الفروع، ولذلك تكاثرت مدارس الجمعيات الإسلامية من قبل ومن بعد الاستقلال لسدّ هذا الفراغ.

تغيرت الأوضاع السياسية كذلك فبدأ يتسلل فيها شيء من الكلام الديني، مما سيأتي عليه الكلام فيما بعد.

تغيرت الأوضاع العامة في نيجيريا أيضًا حتى وجدت مخترعات حديثة لنشر الدين وشعائر اللغة العربية مثل الأسطوانات والشرائط، وسياتي الكلام أيضًا على ذلك فيما بعد.

وأما جوهر الأوضاع الذي له نظير قبل الاستقلال، فهو المدارس العربية التي كنا بصددها من أن رجالها هم الرقم الأول في إنقاذ اللغة العربية من همجات الإنكليزية. فقد بدأت هذه المدارس تتعدد إلى الغاية بعد الاستقلال مباشرة. فقد قام علماء الإسلام واللغة العربية يتعاقبون، ويتسابقون، ويتبارون في فتح المدارس العربية الإسلامية من بعد الاستقلال، وتعددت هذه المدارس من الابتدائية، والإعدادية، والثانوية، والدبلوم هذا اليوم. وحسبنا ما أوردها منها الدكتور عليّ أبو بكر في ثقافته من المدارس العربية الإسلامية الإعدادية والثانوية في شمال نيجيريا خاصة، ثم كفانا ما ذكره هو من نظيراتها في الكتاب نفسه من أن هذه المدارس تبلغ سبع وأربعين في تقرير ١٩٦٥م في بلاد يوربا فقط، بغض النظر عن الكتاتيب في الجهتين التي تبلغ الرقم الخيالي.

فجزى الله أولئك الآباء الذين قاموا بهذه الخدمة العظيمة، تجاه ربهم لرفع الإسلام واللغة العربية، أولئك الذين يرجون رحمة ربهم، وأولئك هم الفائزون .

ذلك، وأما من الذين حاولوا رفع لواء الإسلام إلى الأفق الأعلى من العلماء السياسيّين بعد الاستقلال، فمنهم المرحوم أحمد بللو سَرْدَوْنَا سَوْكَوْتَوْ، الزعيم السياسي الأسبق في شمال نيجيريا، والحفيد الرابع للشيخ عثمان بن فودي. حاول هو الآخر نشر اللغة العربية بواسطة الإسلام عن طريق السياسة في بلاد إيبَوْ خاصة، وفي نيجيريا عامة. وكان يبيت على هذه النية حتى اغتيل في يناير ١٩٦٦م. وقد كان في وُدّه أن يقيم حفلة في شهر أغسطس السنة التي اغتيل فيها، وهي حفلة إصدار جائزة لزعيمي الإسلام في شرق نيجيريا {بلاد إيبو}، وهما الشيخ إبراهيم نياس إنْوَاغْي، والبرفيسور عليّ بَابَاتُنْدَيْ فافُنْوَا، وكان فافُنْوَا آنئذ محاضرًا في جامعة إنْسُوكَا۞.

وتأكيدًا لخطة الزعيم أحمد بللو، فقد خاطب الناس في مختلف أماكن، مبينًا ما يرمي إليه بسهمه، ومن ذلك قوله في بعض خطب: "...وقد أفرغت ـ أنا شخصيًا ـ أوقاتي للإسلام، وقد كنت متزودًا لأضحي له، وقد فعلت ذلك ! وكل ما كنتُ أمتلكه كان لتحقيق ذلك الغرض"۞۞.

ومن ذلك أيضًا قوله: "... وقد تحدثت سابقًا بأنني كنت أريد أن أميّز الكفار والمسيحيين من المسلمين، وكان في ودّي أن أوضّح بأن هذا هو مجرد البداية، إذ كان هناك بعض جهات لم

۞ محمد سعيد: الإسلام في بلاد إيبو، المرجع السابق ص ٣٧.

۞۞ الإسلام في بلاد إيبو، ص ٣٧.

يصل إليها الإسلام بعد، وكان في أمنيتي أن أنتهي من تنظيف نيجيريا بالإسلام أولاً، ثم تمتدّ هذه الحركة إلى الزوايا الإفريقية" ۞.

ومما أكّد به هذه الأمنية ما قاله في خطبة ألقاها في رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ١٩٦٥م موضحًا بها ما يبيت عليه مسلمو نيجيريا من نية تقديم عجلة الإسلام إلى الأمام. قال: "... وقد سرنا على اتفاق مع إخواننا المسلمين في كل من غرب وشرق نيجيريا حتى في العاصمة الفدرالية لتنظيم لجنة تتحمل مشاكل مسلمي نيجيريا على عاتقها، والتي أتحقق بأنها ستقدم أمامها هذه المهمات كل حين قبل تحقيق أي غرض آخر... "۞۞.

أما أيْمَيْكَا أوْدُومَيْغُو أوْجُوكُو {Emeka Odumegu Ojukwu} فكان لا يرى ما يرى الزعيم سَرْدَوْنَا كالمسيحي الجهير الصوت في منطقته. فقد دافع هو أيضًا عن المسيحية في بيئته، وقابل بما يأتي بحركة سردونا الإسلامية في بلادهم إلى الفشل، إذ يرى هو أن الإسلام قد صار يتمتع في القارة الإفريقية منذ اثني عشر قرنًا، كما يرى أن في الدين حرية يُعتنق عن طواعية واختيار، لا عن كراهية وإجبار، اسمع أوْدُومَيْغُو أوْجُوكُو يقول ما هو على صورة الصراع بين الطرفين في قوله:

۞ المرجع السابق، ص ٣٨/٣٩.

۞۞ المرجع نفسه ص ٣٩.

"... كان أسلاف بيَافْرَا متعصّبين بدينهم، ممتنعين العدوى الإسلامية، وكانت المسيحية مغروسة في بلادنا منذ منتصف القرن الماضي، ولهذا جئنا في صفوف السادات في المسيحية، وجئنا لنقوم داخل جزيرتنا كغير المسلمين، في موج بحر المسلمين.

ومنذ أن كانت نيجيريا في مهدها، طمع المسلمون في انتزاع بيَافْرَا بأسلم وسائل وأوضح دعاية، ولكن جاء كل ذلك بالفشل. ثم حاول الفقيد أحمد بللو سَرْدَوْنَا سَوْكَوْتَوْ سياسيًا، وبابتزاز الأموال بالتهديد والترهيب، ليصيّر بيَافْرَويين مسلمين، وليعطي السياسة سلطةَ دينية في المنطقة، تلك الثورة التي هاجت استقلال نيجيريا من ١٩٦٢م، وأبدى المدّعين بالهدى بالشر، الذين حاولوا تصييرنا مسلمين رغم أنوفنا" ۞.

هذا من بعض ما جرى بين رجال الإسلام السياسيين وبين رجال المسيحية الجنديين السياسيين من الصراع الديني. هذا يريد التعميم الديني، وذلك يريد الحرية والعزل.

ولقد ذكر صاحب الإسلام في بلاد إيبو بأن هذا الصراع ربما كان من كبريت الحرب الأهلية المنصرمة، ولمثل هذا سوء التفاهم، قال الشاعر الأموي:

۞ المرجع السابق نفسه، ص ٤٠.

أرى تحت الرماد وميض نار ... فيوشك أن يكون لها ضرام
فإن لم يطفأها عقلاء قوم ... يكون وقودها جثث وهام
فإن النار بالعودين تذكى ... وأن الحرب أولها كلام
فقلت من التعجب ليت شعري ... أَيقاظا أمية أم نيام

هذا، وأما من الأوضاع التي ساعدت في تطوير الإسلام، ونفخ اللغة العربية في البوق علنًا في هذه البلاد، فمنها تسجيل رجالُ العلم والفصاحة الوعظ، والمحاضرات الإسلامية، وقراءةُ القرآن الكريم في الأسطوانات والشرائط. وكل ميسر لما خلق له وقد كان في هذا الحقل رجال أكفاء، قاموا بنشر دعوتهم بواسطة هذه المواد الألكترونية في بلاد يوربا بلسان قومهم من مطلع الستينات.

وأول من فتح هذا الباب واشتهر به هو الشيخ المرحوم الحاج مصطفى قاسم أيْكَيْمَادَيْ {Ekemọde} إمام جماعة أنصار الدين بلاغوس، ثم تبعه في هذا الجهاد الشيخ حسن دِنْدِي الأَبَيْكُوتَاوي، إمام جماعة نوّار الدين في لاغوس، ولد سنة ١٩١٧م، وبدأ بنشر دعوته الإسلامية نافلة بواسطة الأسطوانات مع المرحوم مصطفى أيْكَيْمَادَيْ من الستينات، وتوفي رحمه الله في ٢٠٠٢/١٢/١٤م.

ثم اشتهر بعدهما الشيخ الحاج حسين محمد، ناضل هو الآخر عن الإسلام بواسطة الأسطوانات، وكان هو المدير الحالي في قسم الإسلاميات في دار إذاعة نيجيريا العامة بإيكَوْيي لاغوس.

ثم يلي هذا الشيخ في هذا الميدان الحاج مسعود حمزة أجِيكَنْلَيْ {Ajikanle} في مدينة إبادن، وكان يشاركه في الجهاد والده وأخوه الأكبر الدكتور عبد الرشيد أجِيكَنْلَيْ أحيانًا، وذلك أيضًا من أواخر الستينات، تخرج هو وأخوه في المدرسة الخراشية بمدينة إبادن.

ودخل في هذا الحقل أيضًا الحاج عبد الرشيد السنوسي ألاكَا الإبادني بحارة أيْلِيْسِنْ مَيْتًا، تخرج هو في مركز التعليم العربي الإسلامي بأغَيْغِيْ.

وأما أشهر هؤلاء نشرًا للدعوة الإسلامية الأسطوانية، فهو الحاج أحمد ألاَيَيْ الأدبي الإلورني، وهو من تلاميذ الشيخ كمال الدين الأدبي، له ما ينيف الثلاثين من الأسطوانات، منها ما كان مجرد تلاوة القرآن الكريم، ومنها ما هو مطلق الوعظ والإرشاد، ومنها ما كان البيان عن الطريقة الصوفية.

ثم يلي هذا العالم، الشيخ الحاج محي الدين أجَانِي بللو الإبادني، تخرّج في المعهد العربي النيجيري بمدينة إبادن ١٩٦٨م. وكان فصيحًا صريحًا بالحقّ ولا يبالي. له ما ينيف الثلاثين من الأسطوانات، بدأ بها من سنة ١٩٧٤م، وجملة أسطواناته ما

بين قراءة القرآن الكريم، والوعظ، والإرشاد، وقد صرّف منهج وعظه مؤخرًا إلى تنبيه المواطنين على الأمور الجارية في البلاد، وتقويم الحكومة، أيد الله جميعهم وشكر سعيهم.

ثم أتاح الله لي الفرصة ـ أنا الكاتب لهذا البحث ـ للانتظام في هذا الصف بإخراج الأسطوانات والشرائط في تلاوة القرآن الكريم، محاكيًا بها المرحوم الشيخ عبد الباسط محمد عبد الصمد منذ ١٩٧٨م بمساعدة الشيخ محي الدين الواعظ المذكور، وتوقفت الأسطوانات برهة، وظلّت الشرائط تنتشر حتى اليوم. كما كان لنا مثل هذه الحركة في دار إذاعة وتلفزيون مدينة كَنُوْ، وفي مدينة لاغوس وإبادن في الجنوب.

تلك هي حركات ومراتب الرجال القائمين بنشر اللغة العربية وإيثارها في النفوس، وإنقاذها من فتنة أعدائها الألداء. ويأتي في المرتبة الأولى من الجهاد من فتحوا المدارس، أولئك الذين تعلموا القرآن وعلموه الناس. ثم يليهم الذين يتصدون بالحق ودعوة الناس إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، سواء كان ذلك في الراديو، أو بواسطة الأسطوانات والشرائط، أو بالخطب على منابر المساجد، أو بعقد الوعظ في المجالس والمناسبات الإسلامية، أولئك الذين تعتبر أعمالهم ربحة، يضربون بها بالحديث القائل: { الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها أخذها } جزى الله الجميع عن الإسلام خيرًا.

هذا، كل ما تقدم من التناقضات النزاعية من فاتحة البحث لمن ملامح الصراع البارزة بين العربية والإنكليزية في هذه الديار منذ دخول اللغة الإنكليزية إليها. وقد رأينا مدى صراع اللغتين وأنصارهما في الساحة النيجيرية، ورأينا تفلسف الطرفين ليكون الواحد هو الغالب على الآخر بما يملك من عِناد أوعَتاد.

وفيما يلي، نرى ما سيكون التغلب، والفوز، والنصر جنبها من اللغتين على نظيرتها، ولا نهتدي إلى ذلك إلاّ بطرح السؤال الآتي:

▪ لأيّ من اللغتين الغلبة ؟

لإيلاف الإفرنج المستعمرين، إيلافهم حبّ السيطرة، والتقهُّر، والتغلب على العالم بأكمله، حيث لا يتنفس أحد إلا بروحهم، ولا تتحرك دولة إلا بإذنهم، ذلك لتقدمهم في الحضارة والثقافة، وتفتُّح عيونهم في الاكتشافات والاختراعات.

الحق أن العرب مِن أقدم الأمم ثقافة قبل الإنكليز، وهم بالفتوحات الإسلامية أدخلوا الفرس والروم وغيرهما من الأمم الراقية قبلهم تحت الإمارة الإسلامية، فصارت السيادة والقيادة حينذاك بيد العرب والمسلمين في العالم كله. ولما تقهقر العرب من الصف الأول. " بإبعادهم عن الخط الصحيح الذي رسم لهم الإسلام، فشغلوا أنفسهم فيما لا عمل لهم فيه، وتركوا ما كان يجب أن يعملوه؛ شغلوا أنفسهم فقط في البحوث عن الدين

والعقيدة، مع أن الله سبحانه وتعالى قد أكمل الدين للمسلمين، قال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي...} - سورة المائدة آية ٣ -

وشغلوا أنفسهم فقط في البحوث عن التشريع، مع أن الله سبحانه انفرد بالتشريع، وفصَّله، وما كان علينا إلا أن نتبع ما أنزل الله، قال تعالى: {... وَمَنْ لَمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}- سورة المائدة آية ٤٦ - وتركوا أمور الدنيا؛ مع أن الله حثَّهم على العمل بها بجد، وكذلك حثهم الرسول، قال تعالى: {... فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُواْ فِي الأَرْضِ وَابْتَغُواْ مِن فَضْلِ اللهِ...}-سورة الجمعة آية ١٠-وقال: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا...}- سورة القصص آية ٧٦-. وقال: {...اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ...} - سورة التوبة آية ١٠٥-. وقال عليه الصلاة والسلام: {أنتم أعلم بشؤون دنياكم}، وقال: {المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف}.

وعند ما راح المسلمون يبحثون في العقيدة والتشريع، اختلفوا إلى فِرَقٍ ومذاهب شتّى، وحارب بعضهم بعضًا" ۞. نتش منهم الإفرنج قصب السباق، فصاروا ينظرونهم أمامهم في الميدان، راكضين بثقافتهم ومَدَنِيَّتِهم إلى الأقطار والأمصار تحت تجارة الرقيق أولاً، فكانوا يستخدمون هؤلاء العبيد كالسلم لترقية مَدَنِيَّتِهِمْ، ثم تحت الاستعمار بعد نهوض أبوازهم بأجنحتها.

۞ أحمد شلبي: موسوعة النظم والحضارة الإسلامية، مرجع سبق ذكره، ص ص ١١/١٠.

انتشر دين العرب {الإسلام} إلى كثير من بلاد العالم قبل ظهور الإفرنج بحركتهم، ولما ظهروا، تغلغلوا بالمسيحية وبنور ثقافتهم إلى البلاد التي قد سبق الإسلام إليها، فلم تبق في العالم دولة لم يسطُ عليها الإفرنج بالمعنى الكامل إلا بعضًا من بلاد العرب مثل السعودية التي فيها المسجدان الحرمان اللذان يحرمان السيئات عن تلك البقعة. وأما بقية البلاد التي تقوّت فيها العروق الإسلامية مما دخلوها، فظلت اللغة الإفرنجية تصارع فيها اللغة العربية مثل ما نجدها في الشرق الأدنى، وشمال وغرب إفريقيا.

ولكي يمكننا الحصول على ما سيكون النصر والتغلب نحوها من اللغتين العربية والإنكليزية في المستقبل القريب أو البعيد في نيجيريا، يحسن بنا الرمز إلى بعض ما قام به الإفرنج من نظير هذه الحركات ضدّ الإسلام واللغة العربية من الصراع والمكايد في البلاد العربية، وكسروا فيها قُواهم، ليُكبكبوا على الإسلام ولغته، مع أننا اليوم نرى أن البلاد العربية لا تزال قائمة على استعمال لغتها القومية بعد جلاء الإنفرنج من أرضهم.

فهل تغلبت اللغة الإفرنجية على اللغة العربية في بلاد العرب إذن ؟.

كان الإفرنج بالأمس يتمتعون في بلاد العرب تحت جناحي التبشير والاستعمار، وقصد الإفرنج تَوًّا إلى تشتيت العرب

بخيلهم ورجلهم، وقصدوا استعمار بلاد العرب عقديًا، وسياسيًا، واقتصاديًا. فوجدوا مع الأسف أنصارًا من العرب أنفسهم، فوضعوا كابوسهم على الحكم الوطني الاستقلالي، ترزح تحت عبئه البلاد، وتئنّ منه العباد.

تسيطر المبشرون والمستعمرون على بلاد العرب قبل معرفتهم نيجيريا، وفعلوا بها أسوأ ما فعلوا بنيجيريا من غرس العقيدة النصرانية في نفوس الشعب العربي بمختلف الوسائل مثل التطبيب، والتعليم، والوعظ، ونقل الكتاب من لغة إلى أخرى. وكان التعليم هو غاية الآلة التي كان التبشير يستخدمها لتذليل الصعاب، فعمدوا إلى إنشاء المدارس في بلاد العرب، إذ كان العلم في ذلك الحين قليل الانتشار. ولما بدأ المبشرون يفتحون المدارس في بلاد العرب عام ١٨٣٤م، اقتصروا على تعليم التوراة والإنجيل، إذ كانت غايتهم القصوى، إعداد شبان للتعليم في مدارسهم أو للعمل في مكاتبهم توسيعًا لحركة التبشير ❁، وقد عمد التبشير إلى فتح المدارس للبنات والنساء، وكان أولها في الأمبرطورية العثمانية عام ١٨٣٠م في بيروت، وكان لأميريكين وحدهم مائة وأربع وسبعون مدرسة في سورية وحدها، منشورة في المدن والقرى ❁❁.

❁ مصطفى خالدي وعمر فزوخ { الدكتوران} التبشير والاستعمار في البلاد العربية {١٩٧٠م}، ص ٧٠.

❁❁ المرجع السابق، ص ٧٨.

بدأ المبشرون رسالتهم الضالة المضلة في بلاد العرب بواسطة التعليم، وبدأوا يخلطون الصوافي مع رواكد الآراء في أذهاب الشعوب. وقد كان من غاية أمنيتهم تفسير الآيات القرآنية حسب آرائهم، وفي ذلك الصدد يقول "جون تاكلى" عن المسلمين بأنه:

" يجب أن نستخدم كتابهم { أي القرآن الكريم } وهو أمضى سلاح في الإسلام ضد الإسلام نفسه لنقضي عليه تمامًا، يجب أن نُريَ هؤلاء الناس أن الصحيح في القرآن ليس جديدًا، وأن الجديد فيه ليس صحيحًا "[1].

ويقول المبشر الأميريكي جسب في طعن الإسلام ما قاله:

" إن الإسلام مبني على الأحاديث أكثر مما هو مبني على القرآن، ولكنا إذا حذفنا الأحاديث الكاذبة، لم يبق من الإسلام شيء، وصار أشبه بصيرة طُومْسُونْ ".

وطُومْسُونْ هذا، رجل أميريكي جاء إلى لبنان، فقُدِّمت له مرة صُبَّيْرَة[2]، فحاول أن ينقيها من البذر، فلما نقى منها كل بذرها لم يبق في يده منها شيء[3].

---

[1] المرجع نفسه ص ٤٠.

[2] الصبَّيْرَة: نبات من نبات المناطق الحارة وحوض المتوسط، أوراقها كبيرة كثيفة شائكة، وثمارها لذيذة.

[3] المرجع السابق نفسه ص ٤٠.

ركب المبشرون رؤوسهم في تفسيرهم القرآن الكريم بعقليتهم، وأكثروا في ذلك الانتقاد والتهكُّم. فقد زعم فريدْ ريكْ بَلْسْ أن القرآن الكريم لم يفرق بين مريم والدة عيسى عليه السلام وبين مريم ابنة عمران، أخت موسى وهارون، ويقول بَلْسْ: " خاطب القرآن مريم على لسان قومها بعد أن ولدت عيسى، ولم يكن لها زوج، بقوله: {يآ أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمّكِ بَغِيًّا } ۞. ثم إنه قال: كيف تكون مريم أخت موسى التي عاشت قبل المسيح بألف وأربعمائة سنة هي أمّا للمسيح؟، ولكنّ بَلْسْ لم يعرف أن هذا من باب الكناية في علم البلاغة، ومؤدّاة: مريم التي تشبه في العفة ابنة عمران أخت هارون. كما يقول العرب مثلا: {يا أخا العرب} مدح لرجل لا صلّة له بالعرب أحيانًا" ۞۞.

كتب المنسنيور كولي كتابًا بعنوان: "البحث عن الدين الحقيقي" وقد ألّف هذا الكتاب للتعليم في مدارس البلاد العربية ليصرّع به الإسلام والمسلمين، اسمعه يقول في الصفحة ٢٢٠ من الكتاب: "... في القرن السابع للميلاد برز في الشرق عدوّ جديد، ذلك هو الإسلام الذي أسس على القوة، وقام على أشد أنواع التعصّب. لقد وضع محمد السيف في أيدي الذين اتبعوه، وتساهل في أقدس قوانين الأخلاق. ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب،

۞ سورة مريم - الآية ٢٨.

۞۞ المرجع السابق ص ٤١.

ووعد الذين يهلكون في القتال بالاستمتاع الدائم بالملذات، وبعد قليل أصبحت آسية الصغري، وأفريقية، وأسبانية فريسة له؛ حتى أن إيطالية هددها بالخطر، وتناول الاجتياح نصف فرنسة، لقد أصيبت المدنية، ولكن هياج هؤلاء الأشياع {المسلمين} تناول في الأكثر كلاب النصارى... ولكن انظر، ها هي النصرانية تضع بسيف شارل مارتل سدّا في وجه سير الإسلام للمنتصر عند بواتية {٧٥٢م}، ثم تعمل الحروب الصليبية في مدى قرنين تقريبًا {١٠٩٩-١٢٥٤م} في سبيل الدين، فتدجّج أوروبة بالسلاح وتنجى النصرانية، وهكذا تقهقرت قوة الهلال أمام راية الصليب، وانتصر الإنجيل على القرآن وعلى ما فيه من قوانين الأخلاق السهلة" ۞.

هذا بعض ما قاله المنسنيور كولي في طعن الإسلام والنبي وأتباعه مما يظهر أن بغضه للإسلام، وللنبي، وللمسلمين جليّ. وهذا ما يدرّسون به أبناء المسلمين في البلاد العربية ليخرجوهم من الدين الإسلامي، وليلبسوهم دينهم النصراني.

جاء رجل آخر اسمه {أ، ألبا} بكتاب في التاريخ سماه: "تاريخ محاضرات للشرق الأدنى، لطلبة الصف الخامس"، وجاء في صفحات الكتاب ما طعن به الرسول الله عليه وسلم، قال في الصفحة ٣١ من الكتاب :

۞ المرجع السابق نفسه، ص ص ٧٢ / ٧٣.

"واتفق لمحمد في أثناء رحلته أن يعرف شيئًا قليلاً من عقائد اليهود والنصارى، ولما أشرف على الأربعين، أخذت تتراءى له رؤى أقنعته بأن الله اختاره رسولا" .

وجاء في الصفحة ٣٢ من الكتاب أيضًا قوله:

"والقرآن مجموع ملاحظات، كان تلاميذه يدونونها بينما كان هو يتكلم، وقد أمر محمد أتباعه أن يحملوا العالم كله على الإسلام بالسيف إذا اقتضت الضرورة" .

وفي الصفحة ٣٦ من الكتاب قال:

"وبينما كان محمد يعظ، كان المؤمنون به يدونون كلماته على عجلٍ" ۞.

المبشرون أشباه، فقد ألّف "هـ، غيومان، وف، لوستير " كتابًا أيضًا لصفوف المدارس الابتدائية في البلاد العربية وسماه: "تاريخ فرنسة"، وجاء في الصفحة ٨-١٨ من الكتاب ما نطحا به الإسلام، والنبي، والمسلمين، ومنه قولهما:

"إن محمدًا، مؤسس دين المسلمين، قد أمر أتباعه أن يخضعوا العالم، وأن يبدلوا جميع الأديان بدينه هو، ما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين وبين النصارى. إن هؤلاء العرب فرضوا دينهم بالقوة وقالوا للناس: أسلموا أو تموتوا، بينما أتباع المسيح ربحوا النفوس ببرهم وإحسانهم. ماذا كانت حال العالم لو أن

۞ المرجع السابق، ص ٧٥.

العرب انتصروا علينا ؟! إذًا، لكنا نحن اليوم مسلمين كالجزائريين والمراكشيين " ۞.

ولقد حمل التبشير السلاح على العرب في عدّة ميادين، هذا الذي نراه مما كانوا يلعقون به أبناء العرب في المدارس من تبديل الحق بالباطل. وتدليس وتشويه الدين الإسلامي على الطلاب العربيين المسلمين، وذلك على نحو ما قام به بعضهم وأعوانهم في بلاد يوربا في نيجيريا من ذهابهم لتعلُّم اللغة العربية، وتأليف الكتيّبات وترجمة القرآن الكريم إلى لغة يوربا بعقليتهم وهواهم. فقد أضل هؤلاء المبشرون كثيرًا من أبناء العرب بدعوتهم النصرانية في ذلك المحيط، وذابوهم في بحر التبشير، فصاروا ممن يزرعون للتبشير والاستعمار في بلادهم {بلاد العرب}، ليحصد التبشير عددًا عديدًا من الشعب العربي. كما أن أمثالهم قد أضلوا أكثر أبناء يوربا في نيجيريا بتمكنهم لتعلم اللغة العربية، وبترجمتهم القرآن الكريم كما سبق أن ذكرنا إلى اللغة اليورباوية، ونشر دعوتهم بكتيبات تضم اللغة العربية واللغة اليورباوية، فوقع الناس بذلك في حبائلهم.

لم يكن التعليم هو وسيلة نيل التبشير من العرب وحده، بل هو أيسر الوسائل لتصبيغ عقول الشعوب. ويلي التعليم التطبيب، فقد فتح التبشير والاستعمار، المستوصفات، والمستشفيات في

۞ المرجع نفسه والصفحة نفسها.

بلاد العرب، وكانوا يرسلون نسائهم الممرضات لتطبيب نساء وأبناء العرب في ديارهم، ولا تقتصر الممرضات على تخفيف الألم عن المرضى فقط، بل تحمل إليهم أيضًا رسالة المسيح، ولذلك حرص المبشرون على إنشاء مدارس للتمريض في إيران خاصة[1].

أحسَّ المبشرون بأنهم لم ينالوا من العرب ما كانوا يتوقعونه من الظفر، وإدخالهم في السلاسل النصرانية، فبدأوا يكرهون المسلمين، ومن ذلك قولهم: "من الصعب أن تحبّ مسلمًا، لأن المسلم ليس محببًا إلى النفس، ولأنه هو عادة يشمئزّ من الذين يحاولون الاقتراب منه إذا نالوا ثقته"[2].

ومن يأسهم من العرب والمسلمين قول المستر بنروز رئيس الجامعة الأميركية ببيروت قال: " إن المبشرين يمكن أن يكونوا قد خابوا في هدفهم المباشر، وهو تنصير المسلمين جماعات جماعات، إلا أنهم قد أحدثوا بينهم آثار نهضة..."[3].

هذا، وقد ركب المبشرون الصعب والسهل في تذويب العرب في أمواج العقيدة النصرانية، وأنفقوا الغالي والرخيص في سبيل سلب إيمان المسلمين. ولما قنطوا من العرب، وعرفوا أنهم لم يتحققوا الأثر المنتظر منهم، عدلوا إلى الرمي في مستقبل

---

[1] المرجع نفسه، ص ٦٤.

[2] التبشير والاستعمار في البلاد العربية، المرجع السابق ص ٤٧.

[3] المرجع نفسه، ص ٤٦.

العرب والمسلمين، فتفلسفوا في ذلك غرس أشجار الضلال الأبدي، يأكل من ثمارها أبناء المسلمين جيلاً بعد جيل، ومن نتائج فلسفتهم:

- الأولى: نشر آراء المسيحية إلى المسلمين وإلى المثقفين منهم خاصة، حيث تتسرب هذه الآراء المسيحية إلى المسلمين وإلى المثقفين منهم خاصة، حيث تتسرب هذه الآراء بعدئذ من تلقاء نفسها إلى المجتمع الإسلامي. وهذه هي الفكرة التي أقنعت المبشرين بضرورة إنشاء المعاهد العالية في البلاد الإسلامية، فمن نتائجها الجامعات الأميريكية في بيروت، وفي القاهرة، وفي الباكستان؛ وكلية روبرت في إستانبول، وكلية السورية ونحوها ۞. وكان من هذه الكليات تسربت آراء المسيحية إلى أوساط المسلمين، ومنها انتشرت إلى أذهان العرب والمسلمين.

- الثانية: تشويه الثقافة العربية الإسلامية بتشجيع اللغة العامية رميًا إلى تفكيك وحدة العالم الإسلامي، لأنهم عرفوا بأنهم إذا شجعوا العامية، تحدّث كل قطر عربي بلهجته، وتناسوا الفصحى. وإذا نسيها العرب، أعرض عنها العجم، فيكون ذلك نهاية للغة العربية ۞۞. فقد استجابت لهم بلاد العرب إلى ذلك وفازوا به شيئًا ما.

۞ المرجع السابق نفسه، ص ٧٩ وما بعدها.

۞۞ المرجع الوحيد السابق، ص ٣١٧.

- الثالثة: دعوتهم إلى كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية، فقد ألف في ذلك عدد منهم، وعلى رأسهم الأب رافائيل نخلة، وشكري الخوري، والدكتور أنيس فريحة ❁. وقد انتشر ذلك اليوم في كل مكان تحت الدراسات الإسلامية.

- الرابعة: تسهيل اللغة، ومن أكباش الدعاة إلى ذلك الدكتور أنيس فريحة السالف الذكر، وكان أحد أساتذة التاريخ واللغات السامية في الجامعة الأميريكية في بيروت، وله كتاب في ذلك بعنوان: "تبسيط قواعد العربية وتبويبها على أساس منطقي جديد" ❁❁.

- الخامسة: الدعوة إلى الحرية الدينية، حيث لا يجب للعرب أن يأمروا أولادهم على البقاء في ملتهم. ومن ذلك قول الدكتور أنيس فريحة: "... تكون للناس الحرية أن ينظروا إلى الدين من خلال نظاراتهم لا من خلال نظاراتنا نحن... نحن زائلون والحياة للأجيال القادمة... لا تحرص أن تفرض على ابنك عقائدك، وعاداتك، ومقاييسك، وذوقك، ونظرك إلى الحياة... قد يسايرك ابنك بعض الطريق، ولكنه في قرارة نفسه يضحك من حرصك هذا، ويسير في طريقه الخاص..." ❁❁❁.

❁ المرجع نفسه ص ص ٢٢٤/٢٢٥.

❁❁ المرجع السابق، ص ٢٢٥.

❁❁❁ المرجع السابق نفسه، ص ٢٣١.

هذا قليل من الحركات التبشيرية الكثيرة التي ضجّت البلاد العربية بقواها في الماضي القريب، مما يدل على حب تسيطر الإفرنج على العالم الإسلامي عامة، وكراهيتهم للعرب ودينهم ولغتهم خاصة، فقد تحرك الإفرنج من أجل الإسلام، وشدّوا إزرهم من أجل العرب. ومن ذلك قول المنسنيون كولي في كلامه السابق: "... في القرن السابع للميلاد، برز في الشرق عدوّ جديد، ذلك هو الإسلام..." .

وقول غيومان ولوستير في العرب في قولهما السابق:
" ماذا كانت حال العالم لو أن العرب انتصروا علينا ؟ إذًا، لكنا نحن اليوم مسلمين كالجزائريين والمراكشيين".

هذا من بعض صراعات التي قامت بين العرب والإفرنج في الدول العربية، ولم يستطع الإفرنج التغلب على العرب في ذلك المحيط بلغتهم. ولكن مع ذلك أثروا في العرب كثيرًا، حتى وُجد من العرب من هم مسيحيون من هذه المكائد في أمثال سوريا، ولبنان، ومصر ونحوها. وحتى كان العرب اليوم يجرون وراءَهم على سكة الاقتصاد النفطي، والعمل بإشارتهم وفكرتهم. وحتى كانت لغتهم الإنكليزية والفرنسية مطمع أبناء العرب اليوم حتى في السعودية التي كانت علبة الحرمين، والله يقول: { وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ } ۞.

۞ سورة البقرة الآية ١٢٠.

وقال الشاعر حافظ إبراهيم رحمه الله في معنى الآية:

إذا شئتَ أن تلقى السعادة بينهم فلا تكُ مصريًا ولا تكُ مسلمًا

ذلك هو الحال عند المبشرين المستعمرين، فكان أكبر الناس إليهم في العالم عداوةً العربُ، ثم المسلمون غير العرب في أي بلاد أو مكان. وأما اللادينيون، فكانوا ممن ليس بينهم وبين الإفرنج سوء تفاهم، ذلك لكونهم خاليي الأذهان، مستقلين عن العبادة الكتبية السماوية.

وأما العرب اليوم، فقد كانوا ممن أذلّوا أنفسهم للأوروبيين والأميريكيين من أجل التبادل التجاري، واتكلوا عليهم كل اتكال، ونسوا أنهم الأعداء. اتكلوا عليهم ولم ينظروا بعمق فيما ينبغي أن تقوم به الأمة العرب من شقّ الأرض، وتجريح الأشجار، وقطع الحدائد، وطحن الأحجار. ولكن راح العرب ضد هذه الأشياء، فعادوا بعصرهم إلى العصر العباسي. فكانوا يبسطون الأرجل على البسط، وصاروا يقرعون كؤوس الشاي بالكؤوس متكيئين على الآرائك متوسدين. وكانوا يبالغون في استيراد البضائع، والسيارات، والمأكولات. ونسوا أن القائمين بكل هذه الأشياء الممتعة أناس مثلهم. مع أن العلوم، والتطورات، والاكتشافات ليست مقصورة على أمة وحدها، ولا على جنس دون آخر. ولكن يتم كل ذلك بالبحث، وكثيرًا ما تجلب البحوث خيرات.

فيا ليت العرب تقدموا شوطًا، وقاموا بمثل، أو بنصف، أو بثلث... ما يقوم به الإفرنج، لاعتز العرب ولاعتز الإسلام والمسلمون. ولكن العرب تقهقروا، فكاد يتنفس على مجهوداتهم الدهر، فصاروا ممن يزدرون أنفسهم، ويمقتون إخوتهم، ويستقون من عصير عقول الآخرين. ولا ينتبهون للمستقبل، فيعلمون أن الدهر لا يدوم، والصفاء لا يصوم، وأن من يعطي يأمر، ومن يقدم يفتخر، ومن تكاسل تجبّن، ومن تجبن تذلّل وأسير... هذا، والكلام طويل النفس في هذا المضمار ليس هنا موضعه.

ذلك، وأما صراع اللغتين العربية والإنكليزية في نيجيريا، والنظر فيما يمكن أن يكون النصر والتغلب جنبها على الأخرى، فذلك مما يضرب بما أوردنا من صراع اللغة العربية مع اللغات الإفرنجية في البلاد العربية حيث ظلّ فيها حملة هذه اللغات كابوسين عليها، ومع ذلك لم تسعد لغتهم للغلبة على اللغة العربية. وكذلك ظلت الإنكليزية تصارع العربية في نيجيريا بدون أن تغلب أو تقضي عليها حتى الآن.

دقّق علماء اللغة وطبائعها النظر في دوافع تغلب لغة على أخرى، فلاحظوها في الأمور الآتية:

- الأول: درجة الحضارة والثقافة بين اللغتين أو اللغات. واللغة التي كانت درجتها الثقافية أعلى وأرقى، هي التي تنتصر على

غيرها عند الاختلاط، إلا إذا كان عدد الناطقين بها قليلاً في المجتمع.

- الثاني: كثرة عدد الناطقين بلغة، فيكون النصر والغلبة جنبها بين بقية اللغات، ولو كانت لغة دخيلة من قبل الفتح أو الاستعمار.

- الثالث: تتغلب لغة على أخرى إذا كانتا من فصيلة واحدة أو من فصيلتين متقاربتين. وأما إذا لم تكونا من فصيلة واحدة، أو من فصيلتين متقاربتين، فإنه يصعب تغلب إحداهما على الأخري. ولكن يقوم بينهما ما يسمى بالصراع الحضاري، فتصبح أكثرهما حضارةً وثقافة هي اللغة الرسمية في المجتمع ۞.

هذه هي أهم الشروط التي بها تنتصر وتتغلب لغة على أخرى في الصراع، وبقي مقارنتنا لها بالصراع الجاري بين اللغة العربية واللغة الإنكليزية في نيجيريا، فنقول:

نيجيريا دولة غنية باللغات واللهجات المحلية، غنية عن الاحتياج إلى لغة خارجية أخرى. فقد جاءها الإسلام ولغته العربية، ووجدت هذه اللغة مكانتها بين الشعب النيجيري، وكانت أرقى لغة، وأعرق حضارة، وأوسع ثقافة على اللغات النيجيرية. ولكن مع ذلك لم تتغلب عليها، لأنّ أول الناطقين بالعربية فيها أولاً نطقًا ثقافيًا صحيحًا، أقلُّ ممن ينطقون باللغات

۞ فتحي أنور الدابولي: المنهل، مجلة للآداب والعلوم والثقافة، العدد ٤٧٢، يوليو ١٩٨٩، تحت موضوع: صراع اللغات، ص ص ٦٣/٦٢.

النيجيرية الأصلية. ولم يكن أصحابها ثانيًا قد نزحوا إلى نيجيريا على كنف الفتح أو الاستعمار. ولم تكن هي ثالثًا واللغات النيجيرية من فصيلة واحدة أو من فصيلتين متقاربتين، ولكنها أثرت في بعض اللغات النيجيرية من جانب، ذلك لقدم عهدها معها للإسلام، والمجاورة، والصلة التجارية. وفازت بالنصر من جانب آخر على كنف التعليم، لكونها لغة حية راقية ذات ثقافة عريقة.

ثم جاءت اللغة الإنكليزية بعد العربية إلى نيجيريا بعد ثلاثة قرون، وهي كما تُعرف اليوم أرقى ثقافة وأعرق حضارة من اللغة العربية، ووجدت هي الأخري مكانتها بين الشعب النيجيري، ولكن مع ذلك أيضًا لم تتغلب ولم تقض على اللغات النيجيرية الأصلية. لأنها أولاً، وإن كانت أرقى من اللغات النيجيرية، فإن عدد الناطقين بها قليل في الصدارة. ولأنها ثانيًا، وإن كانت لغة دخيلة عن طريق الاستعمار، فإن عدد النازلين من أهلها أقل إحصاءً من أهل البلاد. ولأنها ثالثًا، لم تمتّ باللغات النيجيرية الأصلية بصلة، ولم تكن معها من فصيلة واحدة ولا من فصيلتين متقاربتين، ولم يكن بينها وبين اللغات النيجيرية حكم جوار. لذلك لم تؤثر في اللغات النيجيرية مثل ما أثرت اللغة العربية فيها. ولكنها فازت بالنصر الأوفر أخيرًا على اللغات النيجيرية، وعلى اللغة العربية الدخيلة قبلها عن طريق التعليم، وكان صراعها مع هذه اللغات كلها الصراع الحضاري.

هذا ما كان بين اللغات النيجيرية المحلية وبين اللغتين العربية والإنكليزية أولاً من الصراع، ولم تتغلب اللغتان على هذه اللغات المحلية مع كثرة ثقافتهما. وأما ما يكون النصر والتغلب جنبها بين اللغتين العربية والإنكليزية في نيجيريا فإنني كما أرى:

لا تستطيع أن تتغلب إحدى اللغتين على نظيرتها في نيجيريا لا اليوم ولا في المستقبل القريب ولا البعيد، بل تسيران جنبًا إلى جنب. ولكن سترتقي اللغة العربية في المستقبل شيئًا ما، فوق ما كانت هي عليها اليوم من الدرجة والمنزلة، وسنرى بيان ذلك وشروطه فيما بعد.

لا تتغلب اللغة الإنكليزية على العربية في هذه الديار، كما أنه لن تتغلب العربية هي الأخرى على الإنكليزية فيها. لأن اللغتين لم تكونا من فصيلة واحدة ولا من فصيلتين متقاربتين. بل تعيشان معًا جنبًا إلى جنب، ويدور بينهما الصراع الحضاري حيث يظل الفوز بذلك جانب الإنكليزية، وتظل هي اللغة الرسمية في البلاد كما أرى لعقود لمستواها الثقافي، ثم ستحلّ محلها إحدى اللغات النيجيرية كاللغة الرسمية فيما بعد قريبًا أم بعيدًا.

الحق أن للغة الإنكليزية فضلين على اللغة العربية في هذه البلاد، الأمر الذي رفع مستواها على مستوى اللغة العربية:

- الأول: كان لها فضل الثقافة والحضارة فوق ما للغة العربية، فرجحت بذلك كفتها.

- الثاني: كان لها فضل كثرة عدد المتعلمين لها، حيث كانت هي لغة الإدارة والوزارة، ولغة المدارس والشوارع، ولغة الأدوار والأسواق.

وأما اللغة العربية، فلم يكن لها فضل سوى أنها لغة العبادة والتضرع والتبتل في الإسلام وكفى فبذلك ترجحت كفتها أيضًا في كل مكان، في حين أن اللغة الإنكليزية ليست بلغة العبادة، لا في المجوسية، ولا في النصرانية، ولكل من تنصّر الرخصة في استعمال أية لغة سوّلتها له نفسه.

قلت: إن اللغتين العربية والإنكليزية للغتان عريقتان تبقيان حيّتين ما بقيت الحياة، ولا تتمكن أن تقضي إحداهما على الأخرى في أي مكان في العالم كله، ما بقي الدين الإسلامي، وما بقي الإفرنج مديرو العالم إلى حين بثقافتهم. بل تبقيان في كل مكان جنبًا إلى جنب، وتبقى العربية في كل مكان بفضل الإسلام في البلاد التي تقام فيها الصلاة، ولم تعرف الإنكليزية فيها كلغة الاستعمار في العالم كله. كما أن الإنكليزية تتغطرس بثقافتها في كل بلاد استعمرها الإنكليز. وقد علمت كل منهما مشربها، ولكل منهما فضل، ولن تتغلب إحداهما على الأخرى. قال تعالى: { لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِى لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ }۞. - صدق الله العظيم -

۞ سورة يس الآية ٤٠.

بين الرجال المثقفين باللغتين والمثقفين بالإنكليزية فقط في المجتمع النيجيري

إن بين الرجال المثقفين باللغتين العربية والإنكليزية، وبين الرجال المثقفين باللغة الإنكليزية فقط في المجتمع النيجيري بونًا بعيدًا. هذا صاحب ثقافةٍ واحدةٍ، وذو لسان واحد. وذاك صاحب ثقافتين اثنتين، وذو لسانين اثنين. فشتان ما بين السيف الذي له وجه واحد وبين الذي له وجهان.

كان قديمًا أن ما يسمى أو يعرف بالتعلّم كان بجانب المسلمين، حيث كانوا يضطرون إلى تعلّم اللغة العربية والدراسات الإسلامية ليتقنوا به دينهم، وليعرفوا فروعه من أصوله. وعلى هذه النية كانوا يبيتون ولا يزالون بها يرغمون أبناءهم على تعلّم هذه اللغة من أجل الدين، فصار الأمر يجري كابرًا عن كابر من غير القصد بأنه ستكون للعربية في مستقبل نيجيريا سوق رائجة يزدحم فيها الناس. وكان قبل هذا الوقت، كان رجال اللغة العربية ممن لا يكسبون منها مالاً ولا جاهًا مثل ما بلغ به الأمر اليوم. بل كانت غاية مقصدهم حينذاك أن يكونوا أئمة، أو مؤذنين، أو معلّمين، أو قضاة، وكان المنصب الآخير أعلى المناصب للعلماء وقتذاك.

ثم جاء بعد هذا التعلّم وثقافته العربية تعلّم اللغة الإنكليزية وثقافتها، فسطى هو على التعلم العربي، لأنه جاء عن طريق الاستعمار. فصارت اللغة الإنكليزية لغة الشارع، ولغة السوق، ولغة الإدارة، ولغة المدارس؛ في حين لا تتجاوز العربية لغة المدارس والمساجد.

صار المتثقفون بالثقافة الإنكليزية الغربية في رفاهية الحياة في المجتمع النيجيري، وصاروا يضربون المثقفين باللغة العربية فقط بعرض الحائط. وكانوا يكيلونهم بمن لا وجود لهم في الحياة، وكانوا كلما رأوا من يتعلمون اللغة العربية قالوا: "إنما يتّبع العلماءَ الكسالى". وكان كل ذلك من الجراح العميقة التي جعلت المسلمين يتفقَّدون ما يلحمون به جروحهم كي يسلموا من طعن أعدائهم الذين لا يقيمون لهم وزنًا.

عرفتَ في تقسيمنا السابق لعهد تطور اللغة العربية في نيجيريا أنه ينقسم إلى عهدين زمانيين: العهد الأول؛ ما بدأ من سنة ١٨٩٠م من عهد نزول الشيخ عبد الكريم مرادي الطرابلسي في نيجيريا إلى عام الاستقلال ١٩٦٠م، وهو مدة سبعين عامًا، كان ذلك فترة النهضة الأولى للغة العربية. وفي تلك الفترة كان بعض من رجال اللغة العربية في البلاد يتمتّعون بقسط لا بأس به من التعلم الغربي، وكان أمثال هؤلاء يشاركون المثقفين باللغة الإنكليزية فقط في المدارس للتدريس.

والعهد الثاني: ما كان من ١٩٦١م حتى اليوم، منذ أن بدأ آباؤنا العلماء يتسابقون في تأسيس المراكز والمعاهد الإسلامية للتعليم العربي. وكان ممن يتتلمذون في هذه المراكز والمعاهد من قد أكملوا دراساتهم الابتدائية في المدارس الإنكليزية الحكومية، وكان في المناهج الدراسية في بعض هذه المعاهد المواد الثقافية الإنكليزية، مما يخرج الطالب قبل إتمام دراسته من هذه المعاهد من المستوى الابتدائي إلى المستوى المتوسط بالنسبة للثقافة الإنكليزية، نافلة على الثقافة العربية العريقة التي من أجلها أتى إلى المركز أو المعهد. وحينما ينتهي من هذه المرحلة، يرى الطالب أن المدرسة قد أنبتت له جناحين يطير بهما حيث شاء ومتى شاء. وأمثال هؤلاء ممن لا يقتنعون الاكتفاء بثقافتهم الإعدادية أو الثانوية، بل يرغبون في المواصلة الدراسية كي يكللوها بالتاج العصري ولو كان بالصين.

أولئك الذين يصبحون ندماء مع أهل الإنكليزية، يقرعون معهم الكؤوس في القاعات العلمية، ويتبادلون معهم الآراء في الصالات الثقافية، ويتبارون معهم في التكلم والكتابة باللغة الإنكليزية في داخل البلاد وخارجها، مما كانوا بالأمس يتبخترون بها عليهم. فإذا دارت الأرض على أقدامهم في المجتمع، غيّر الرجل العربي اللسان لسانه، وجعل المتثقف بالإنكليزية فقط في الحيرة والدهشة، وحينئذ يفهم أن بين السماء والأرض بونًا، وعندئذ يتبيّن بينهما السيّد والمسود.

في الأمس البعيد أو القريب، كان المتثقفون بالثقافة الإنكليزية يركبون رؤوسهم لدى العلماء، ويرفعون أنوفهم لدى طلاب اللغة العربية. وأما اليوم، فقد بدأوا يخفضون لهم أجنحتهم بما أوتي العلماء المسلمين من الرحمة، فصاروا اليوم ممن يقولون: "لم يبق صفاء الدهر إلا عند العلماء". وهم في الأمس يقولون: "إنما يتبع العلماء الكسالى".

ثم كان هناك احترام وكرامة يستقبلها علماء الإسلام في نيجيريا لدى الجمهور، خلاف نظرائهم المثقفين بالثقافة الغربية. وقد لا يهتمّ بهم إلا أن يُعيّنهم بأنهم ممن رُضعوا بالخيانة، وممن يتقاضون الرواتب الشهرية. وأما علماء الإسلام، فقد يكون احترامهم عند البعض إلى درجة التقديس، ذلك لما قد قام به العلماء الأوائل مع الملوك الجبابرة في البلاد مما أوتوا من الكرامات، حتى صارالملوك والسلاطين يخافونهم. فشاع ذلك حتى ظن البعض أن جميع علماء الإسلام لم يزالوا حتى اليوم في مرتبة هؤلاء العلماء الأوائل في قطع الحدائد بأَسِنَّتِهم، وقتل الأُسُد بإطباق جفونهم.

هذا، ومع ما للإسلام من فضل، وما لعلماء الإسلام من كرامة، لقد وجدنا بعضًا من طلاب اللغة العربية ممن ليست له الثقافة الإنكليزية يودّ لو تنشق الأرض فتبتلعه، إذا كان في أوساط المثقفين باللغة الإنكليزية. فينظر إلى نفسه كمن لا وجود له في

الحياة، أو يَعدّ نفسه سقط المتاع، يظن أن التعس واللعنة عليه. ودعنا نسأله ! أو ليس له علم يفرح به ؟ أولم يكن قد خرج من زمرة الأميين الذين لا يستطيعون رسم الصفر بدبر الزجاجة ؟ ! والأميون يعيشون ببهجة وسرور مع المثقفين، ويرون الفضل معهم على ما آتاهم الله من فضله ما داموا أنهم يأكلون من عمل يدهم. فما بال طلاب اللغة العربية لا يتجرَّأون تفخرًا واقتناعًا بتلاوة قوله تعالى: {... وَمَآ ءَاتَانِىَ اللهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ}۞.

السهام ترمى صوب المصائد، فقد نظرت في مثل هذه القضية من زمن، فهلهلتُ وقتئذ قصيدةً تُنفّس كربة أمثال هؤلاء عند ترديدها، وتجعلهم توّاقين إلى مالم ينالوا. وقد جعلتها فيصلاً شعريًا بين المثقفين بالثقافة الغربية المتغطرسين بثقافتهم، وبين المثقفين بالثقافة العربية فقط المزدهرين لمنزلتهم. وخاصة لبعض حفاظ القرآن الكريم الذين ليست لهم كفة راجحة في الثقافتين. وذلك ليعلم الجميع أن من عاش طويلاً، سوف يأكل من اللحوم ما يعادل الفيل، قلت:

يلومونني قومي على اللغة التي ... بخلتُ على النطق بها ببيانِ
ألا إنها الإنكليز نطقُ الأغارب ... غدًا ستروني مبرزًا بلساني
يقيني الذي قد مات ماتت فعاله ... فلا تهددُنِّي باللسا البريطاني

۞ سورة النمل الآية ٣٦.

وإن شاء ربي جعلني بَوْلِجِلِيوْتِي* كأصحاب اللغات لدى البيضاني
ومن لامني بالقصر حسب التكلم دليلي لكل المرء صرف الزمانِ
وإن كنتَ مذياعًا لألْسُنِ مرحبًا فهل لك باع مثلنا في القُرَان
فبعض يميل مشرقًا ثم مغربًا وبعض يسير مقبلاً للأماني
وقَدْنِي الذي كنتُ غريقًا غماره ومن شكَّ في القرآن دومًا فجان
ولستُ أقول بالذي كنتم باطل ولكنِ الذي لم يدر شيئًا فدان
ضمائر أشتاتٌ ومذهب واحد ولكن ربي للضمائر صانِ

هذا، ونحن إذ نقدم هذه القصيدة، لا نقصد بها إسقاط الطلاب من صفوف التعلُّم الإنكليزي، {ومن تعلم لغة أمن مكر أهلها}، ولكننا نطالبه أن يبعد التعس واليأس عن نفسه، ويعلم أن الفوز والاجتهاد والهمة مع طول العمر، ولكن العاقية للتقوى.

وأما من يريد أن ينتحر من أجل أنه لم يحصل على شيء يصيده، أو من أجل أنه لم يتقن علمًا أو فنًّا يرومه، فقد جاء في الحكمة قولهم: "لكل فنّ رجال". وجاء في القرآن في تشتيت الأعمال قوله تعالى: {إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى} **. وجاء فيه أيضًا قوله: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً، فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُواْ فِى الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ}***.

* أي: {Polyglot} وهي كلمة إنكليزية يفسرها عجز البيت، أي صاحب اللغات المتعددة كالمذياع.
** المرجع السابق، ص ٢٢٥.
*** سورة التوبة الآية ١٢٢.

ليس من القدر أن يحيط المرء بكل علم، إنما قدر ذلك لله وحده. فالدكتور في الثقافة الإنكليزية جاهل، إذا دخل بلاد العرب أو بلاد الفارس أو غيرهما، ولم تكن له معرفة بشيء من هذه اللغات، فإنما مصيره أن يهوي إلى الترجمان، وكذلك الشأن بالعالم العربي.

أما إذا أراد أي واحد أن يحيط بكل شيء، فإنما الواجب عليه أن يتعلم جميع العلوم ليتمتع بما لم يتمتع به أحد قبله، والشاعر يقول:

فقل لمن يدعي في العلم معرفة علمت شيئًا وغابت عنك أشياء

هذا، وغاية ما في الأمر، أن يحمد المرءُ اللهَ على ما آتاه، ويشكره عليه للزيادة، ولا ييأس من شيء بأنه لن يدركه. فالطالب العربي له فرصة أن يدلي دلوه في دلاء التعلُّم الإنكليزي ما دام أنه حريص في ذلك؛ وهو له خير وأفضل. قال الشاعر:

ولم أرَ في عيوب الناس عيبًا كنقص القادرين على التمام

▪ مستقبل اللغة العربية في نيجيريا

المستقبل: هو الزمان الآتي بعد الحال، ولا يعرف المستقبل إلا الله، ثم من تكهن فيه برأي صائب سديد، للمثل القائل: "إن من أراد أن يتكهَّن في المستقبل، فلينظر إلى الماضي".
ثم لقول الشاعر:

من قاس ما لم يره بما يرى أراه ما يدنو إليه ما نأى

في كل ما تقدم، دراسة عن ماضي اللغة العربية وحاضرها وصراعها مع اللغة الإنكليزية منذ فجر دخولها على اللغة العربية في هذه البلاد، فظلّت فيها اللغتان في الصراع بدون أن تغلب إحداهما الأخرى حتى يومنا هذا.

وأما عن مستقبل اللغة العربية في نيجيريا، فماضيها وحاضرها نبراس لمستقبلها. فهما اللذان يوضحان لنا التكهن في مستقبلها، هل ستكون مفقودة مهدّدة المستقبل، أم خالدة معزّزة؟

وعندي كما أرى؛ ستبقى اللغة العربية خالدة معززة في نيجيريا في المستقبل القريب ما بقي الإسلام في نيجيريا، وما دام العلماء يزرعون في حقلها. إنها ستبقى متصارعة مع الإنكليزية ما بقيت الإنكليزية هي لغة الثقافة والعلم في هذه البلاد، وما بقيت هي لغة الكتابة والقراءة الرسمية في نيجيريا.

إنني قد قست ماضي اللغة العربية بحاضرها حينما دخلت هذه البقعة على أيدي نفر في القرن الرابع عشر، فبدأت تنتشر بالإسلام شيئًا فشيئًا إلى أن جاء عصر عثمان بن فودي الذي وسّع نطاقها بالجهاد الإسلامي. فبدأت اللغة العربية تنتشر بحدّ كبير، فصارت هي اللغة الرسمية في البلاد. ثم أرسل الإفرنج إليها طوفانه عن طريق الاستعمار والتبشير، فصار موج التبشير والاستعمار يتلاطم بالناس، فذهب هذا الموج ببعض من حركة الإسلام واللغة العربية، فاحتلت الفراغ الباقي المسيحية والإنكليزية، وضغط هؤلاء الأعداء على الإسلام كل ضغط، حتى لا يبقى للإسلام في البلاد إلا تاريخه.

وكاد الإسلام يتنفّس الصعداء حتى نزل بنيجيريا من قد درس مكر الإفرنج، وعرف ترياق سمومهم. وهو الشيخ الشريف عبد الكريم مرادي الآنف الذكر، الذي أخرج سلاسل المسيحيين من أعناق المسلمين، وأسقاهم الترياق على سموم التبشير، فبدأ يعلمهم الإسلام والعربية بأسلوب حديث، فتفتحت عيون المسلمين، وبدأوا يطالبون المستعمرين حقوقهم بفتح لهم مدرسة إسلامية خاصة. وبعد هذا الشيخ العربي بقليل، جاء الدكتور ويلمت بليدن لتحقيق فتح المدرسة. وبعد هذا الدكتور أيضًا، جاء الأستاذ محمد مصطفى الشامي، فبدأت النهضة الأولى للغة العربية في نيجيريا إثر هؤلاء العرب الذين أتوا مباشرة بأسلوب جديد، ومن بعد هؤلاء بدأ العرب يتوافدون إلى

نيجيريا من مطلع هذا القرن إلى مدينة لاغوس وأبَيْكُوتَا، وإلى مدارس الشريعة في مدينة كَنَوْ وكَتْشِنَا. فخُيّبت آمال المبشرين، وخسرت أعمالهم، فصار الإسلام يتطور، واللغة العربية تزدهر، ففلت الإسلام ولغته من شرور الأعداء منذ ماضيه البعيد إلى ماضيه القريب ۞.

ومنذ إفلات الإسلام واللغة العربية من شرور أعدائها منذ جلاء أولئك الأعداء من البلاد، تمكن نزول العرب إلى البلاد بالكثرة للتجارة والتدريس. كما تيسر خروج عدد كبير من أبناء الوطن إلى بلاد العرب لتكملة دروسهم، فوُجد عدد كبير من المدارس العربية في البلاد، وفُتح قسم الدراسات الإسلامية واللغة العربية في بعض الجامعات النيجيرية.

وقبل الاستعمار، كانت للغة العربية مكانة مرموقة لا تنافسها فيها لغة، إذ كانت هي لغة القراءة، ولغة الكتابة، ولغة الإدارة. وفي الماضي القريب إبّان الاستعمار، فقد سقطت هذه القيمة، إذ صارت اللغة العربية لغة الدين والقراءة والكتابة في بيوت محصورة، وتلاشت في ميدان الإدارة الحكومية.

وأما بعد الاستقلال، فقد ارتقت شيئًا ما، فظلت في صفّها الأول كلغة الدين في كل مكان، كما ارتقت درجة استعمالها للقراءة

۞ أعني بماضي الإسلام البعيد، الوقت الذي يبدأ من دخوله في نيجيريا من ١٣٤٩م إلى وقت نزول التبشير والاستعمار ١٨٤١م، وبالماضي القريب من ذلك الوقت إلى عام الاستقلال ١٩٦٠م.

والكتابة، وأصبحت لغة التخاطب بين عدد عديد من الشعب النيجيري. ثم زد على ذلك أن من رجالها من يتسابقون مع رجال الإنكليزية في المناصب الحكومية العالية في البلاد ولا سيما في بلاد هوسا، فكانوا ينالون من ذلك حظهم مهما قلّ أو كثر.

تلك هي الجسور التي مرت عليها اللغة العربية في هذه البلاد، وذلك هو ماضي اللغة العربية الذي عاش فيه آباؤنا وأجدادنا ووصلنا خبره خلفًا عن سلف. وهذا هو حاضرها الذي نحن نعيش فيه ونذوق لذته ومرارته، ويبقى أن نتصور لمستقبلها للأجيال التي ستأتي بعدنا.

نعم، وأما مستقبل اللغة العربية في نيجيريا، فسيكون زاهرًا ناعمًا أرقى درجة ومنزلة على مرتبتها الحاضرة، ولكن بهذه الشروط التي نقترحها:

١- أن يُكثر العلماء تأسيس المدارس العربية من المستوى الأدنى إلى المستوى الأعلى، وإن تكاسلوا في ذلك، سوف يتقهقر الأمر أخيرًا بموت مؤسسي المدارس العربية الحالية. ويدخل تحت ذلك أن يوصي مؤسسو المدارس العربية الحالية أبناءهم وتلامذتهم أشد الوصية، بتقديم عجلة هذه المدارس إلى الأمام من بعدهم على نمط كيانها، أو بإدخال بعض تحسينات فيها مما لا يذهب بريح الإسلام واللغة العربية منها.

٢. ألا يتكاسل المدرسون في أداء واجباتهم الدراسية لتلامذتهم في المدارس، لأنهم إذا أهملوا تلقينهم الجواهر العلمية، وضنّوا عليهم في إعطائهم حقوقهم الثقافية، فإنه سوف يموت الجوهر العلمي قريبًا، وستبقى قشوره والمصاص، وحينئذ لا يُحمد عقبى هذه اللغة، والأثر يقول: {كما كان المربِّي يكون المربَّى}.

٣. ألا يهين العلماء أنفسهم للمادة، لأنهم إذا أهانوا أنفسهم، وحطّوا مرتبتهم للمادة، بفيضهم حيث يفيض الأغنياء، وميلهم حيث يميل الأثرياء، فإنهم سينصرفون عن قبلتهم الدينية، وسيولّون وجوههم شطر إرادة هؤلاء الأغنياء، فيقتصرون على المصلحة الخاصة دون العامة، فيموت بذلك قول الحق، ويستغلق باب الخروج على الزنادقة، ويقل الوعظ والإرشاد، فتفسد الأجواء والشعوب، فيقتدي بهم الجيل الجديد من بعدهم.

٤. أن يمتنع العلماء من قبول الهدايا من الحكومة ۞، لأنها ستصير لجامًا في أفواههم، وإن استمروا في أخذها، فسيكونون موتى قبل موتهم، إذ لا يرون المظلم إلا مسلمًا، ولا الطالح إلا صالحًا، ولا الملحد إلا مخلدًا، أولئك الذين ابتاعوا أنفسهم للدنيا، واشتروا الضلالة بالهدى، وأولئك الجهلاء في زيّ العلماء. وقد قال الحكماء: "وليس كل أمي جاهلاً، وليس كل

۞ قبول علماء الإسلام وغيرهم الهدايا من الحكومة الحالية {حكومة إبراهيم بَابَانْغِيدَا} شائع، ويكفي على ذلك شهادة القطعة الأخيرة من قول الحكماء حيث قالوا: {كل علم ليس في القرطاس ضاع، وكل سرٍّ جاوز الاثنين شاع}.

جاهل أميًا. الأميّ من لا يقرأ ولا يكتب، والجاهل من لا يعلم ما ينبغي أن يعلم". وقال المثل العربي: "تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها". فهل علم أمثال هؤلاء العلماء ما ينبغي لهم أن يعلموها من إتباع القرآن والسنة في العدل وعدم مساعدة الظالمين على المواطنين ؟، فهل يجوع أمثال هؤلاء العلماء ولا يأكلون بأثديهم إن خلقت لهم. وما فرق أمثالهم من بَلْعَامَ بن باعور الذي كان يستعين به فرعون على موسى:

لمثل هذا يذوب القلب من كمد إن كان في القلب إسلام وإيمان

أولئك الذين باعوا الجماهير لشياطين الرؤساء، ولم يرقبوا لهم إلاً ولا ذمّة، وآثروا المصلحة الخاصة على العامة، وألقوا العباد في يمِّ الحساد. قال الشاعر :

وألقاه في اليمّ مكتوفًا وقال له إياك إياك أن تبتلَّ بالماء

لسنا بصدد الهجوم على أحد، فعلى العالم أن يستخدم علمه حسب فهمه، وحسب فلسفته. ولكننا بصدد الدفاع عن الإسلام. لأن العلماء الذين قد وقعوا في مثل هذا الجهل في هذه الديار، قد أهانوا الإسلام من جانبهم، وقد أروا رؤساء البلاد منزلة العلماء فيها. فكيف لو أداروا وجوههم عن هذه الهدايا، ورموا هؤلاء الرؤساء الظالمين بمنجنيق آيات العدل والإحسان من القرآن الكريم بالحكمة والموعظة الحسنة. فهل سيُقتلون من أجل أنهم وَقوْا آخرتهم بدنياهم، وامتنعوا عن أخذ الرشوة، والحديث يقول: "كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به" .

فتح هؤلاء العلماء هذا الباب في هذا العصر، عصر ازدهار اللغة العربية في نيجيريا. وقد عرفت الحكومة لذته، ولا أظن أن الباب سيقفل على عجل. فإذا دام باب الرشوة لبعض كبار علماء الإسلام لدى الحكومة مفتوحًا، وكانوا يدعون لهم طول البقاء على ظلمهم، فهل سيكون لهم فم ينطقون به عندهم إذا تعدّى الظلم إلى حمل الضغط على الإسلام في البلاد ؟ أو إذا طعنوا اللغة العربية بسيفهم من جانبهم ؟ وقد كانت الحكومة مكونة من المسلمين، والمسيحيين، والوثنيين:

ولـو أن أهـل العلـم صـانوه صـانهم ولـو عظمـوه في النفـوس لعظَّمـا
ولكـن أهـانوه فهـان ودنّـسوا محيـاه بالإطمـاع حتـى تجهّمـا

إلى هذا نرمي بسهمنا، وإذا دام مثل ذلك، فلا يكون جاه للعلماء لدى الشعوب، ولا يبقى لهم مقام لدى الحكام. وإذا شاءت الحكومة بذلك، محقت الدراسات الإسلامية واللغة العربية التي كانت تنفق عليهما من مدارسها. لأن الرواتب التي كان يتقاضاها مدرسو هذه المواد في المدارس قد أصبحت توزَّع للعلماء، آباء هؤلاء المدرسين في الدهاليز. وإن زاد الطين في ذلك بلة، محقت الحكومة التعليم العربي والدراسات الإسلامية أيضًا من جامعاتها، فتكون غاية مرادهم القصوى استجابة الدعاء لطول البقاء، فأين مستقبل اللغة العربية الباهر إذن ؟

وحـسن ظنـك بالأيـام معجـزة فظـنّ شـرًّا وكـن منهـا علـى وجـل

٥. أن يُدخل العلماء أبناءهم في المدارس العربية بمستوياتها المختلفة حتى يجدوا من يرثهم بعد موتهم في نشر الثقافة العربية والإسلامية.

فشا في عالمنا اليوم أن نرى عالما يتمتع بشرف العلم العربي الإسلامي ويرى هو في ذلك ذلاً لنفسه، فيكره أن يكون أبناؤه مثله. فبدلاً من أن يُدخل أولادَه في المدارس العربية حيث يتعمقون في اللغة العربية والدراسات الإسلامية، راح في ركب الصعب والسهل لإدخال أولاده في المدارس الإنكليزية، كيلا يسيروا على سنته، وكيما يقال أنه لا يدور مع الدهر. وعلى ذلك يقول الألوري: "... كما نكره أن نرى إمامًا يؤمّ المسلمين في الصلوات اليومية، والأسبوعية، والسنوية، ويتمتع بشرف عظيم بين الجماعة، ويعيش عيشة طيبة على هذه الوظيفة، ثم يظهر الندامة على ما يعيش عليه، ويأمر أولاده أن يطلبوا لأنفسهم مكسبًا شريفًا آخر" ۞.

هذا ما يدور في كل مكان الآن في نيجيريا، لا يستثنى من ذلك علماء بلاد هوسا وعلماء بلاد يوربا. وإذا مات هؤلاء، باع الأولاد كتبهم، أو يُهدونها لمن شاءوا من الأصدقاء، إذ لا يعرفون قيمتها وجدواها. وهذا الذي قد جمعه آباؤهم في حياتهم من عرق أَجْبِنَتِهم.

۞ آدم عبد الله الألوري: الصراع بين العربية والإنكليزية في نيجيريا، مرجع سبق ذكره ص٢٢.

وهذا الموضوع الذي كنا بصدده هنا يذكرني بحادثتين شاهدتهما في الستينات. الأولى هو أن عجوزًا في قريتي كانت تبيع الفلفل، وكان زوجها ممن له بصيرة في قراءة القرآن وبعض الكتب العربية. فلما نظرتُ إليها، فإذا هي تقطع ورقة القرآن الكريم لتبيع بها الفلفل لأحد زبنها، فتويّلتُ لها، فقلت: إن هذا القرآن كلام الله !!. ومما أعرف هو أنه ليس من أولاد المسكينين من يستطيع قراءة القرآن ولا كتابة العربية، وتلك العجوز لا تدري الكتاب ما هو .

والحادثة الثانية: هو أنني شاهدت في مدينة لاغوس عالمًا يرمز إليه بالبنان على المستوى المحلي لكثرة علمه، وكان ممن تتلمذ في الأزهر الشريف لأشهر، لدورة الأئمة الوعاظ، ومنهجه الذي أعرفه به، هو أنه يشغل أولاده بالتعلّم العربي مهما يكون من أمر. وذلك بقراءة القرآن وأخذ قسط لا بأس به من كتب أصول الدين، ولكن الشيخ لم يرسل قط أحد أولاده إلى مدرسة عربية إعدادية ولا ثانوية، بل اهتم بإرسالهم إلى المدارس الثانوية الإنكليزية وما فوقها. وفي مطلع السبعينات، صادف أول أولاده منحة دراسية إلى أوروبا، وكان قبل خروجه عابدًا متنسكًا. فسرعان ما توفي الشيخ في السبعينات حتى اغتار هذا الولد بالدنيا، فتنصَّر فأصبح أسقفًا في إحدى الكنائس في إنكلترا. ومما أعرف الشيخ به أنه سريع الغضب على من أخر الصلاة من أولاده، أو أفرط شيئًا جانب الدين. ولكن خطأ

الشيخ هو أنه لم يدخل أحد أولاده في المدرسة العربية ليتعمَّقوا في الدين وآدابه، وليتقمَّصوا شخصيته من بعده. إلا واحدًا أدخل نفسه في المدرسة العربية بعد تخرجه في المدرسة الإنكليزية، وبعد وفاة هذا الإمام، صار هو فقط من اعتصم بحبل والده وسار على سنة أبيه. أما المتنصِّر، فقد رحمه الله أخيرًا بعودته إلى الإسلام لعدم رضى أهله وأولاده.

قلت: العلماء الذين لم تُكتب لهم الشهرة، قلّما يجري المبشرون وراء أبنائهم. وأما الذين يرمز إليهم البنان، وكانت أسماؤهم كل حين على أطراف اللسان، فإن أبناءهم هم هدف المسيحيين، كيلا يصيروا مثل آبائهم في رفع لواء الدين وشعائره، وليكونوا رمادًا أخلفته الْجُذى.

وإذا استمر الأمر على هذه الحال، وكانت جذور اللغة العربية والدراسات الإسلامية هم من لا يبغون أن يروا أبناءهم في صفوفهم من خلفهم، فماذا يريدون إذًا أن يقوم به من كانوا مثلاً خياطين، أو حدّادين، أو فلاحين بأولادهم جانب التعلّم العربي، فهل ننتظر أنهم هم الآخرون سيرسلون أولادهم إلى المدارس العربية، أو يوجِّهونهم شطر حرفهم أو صناعاتهم، أو إلى المدارس الإنكليزية. أو قل؛ سننتظر المسيحيين أن يرسلوا أولادهم إلى المدارس العربية بدل الإنكليزية ليجزوهم جزاء سنمار. ليس هناك من يرسل ولده من هؤلاء إلى المدارس

العربية ما داموا أنهم يرون الذين ينبغي أن يرسلوا أولادهم إليها يفرون منها. وإذا قال لهم ولد لهم، إني أريد الالتحاق بمدرسة عربية إسلامية. أجابه والده: لو كان فيها خير، لما أعرض عنها المعلم الفلاني، والعالم الفلاني، والإمام الفلاني، والقاضي الفلاني، والواعظ الفلاني، والمحاضر الفلاني. فمَن مِن هؤلاء شاهدتَ أرسل ولده إلى المدرسة العربية، إن كان فيها مستقبل يذكر، وهم أعلم منا بما فيها، وأفهم منا بمستقبلها. ولمثل هذا يقول الألوري، وإن لم يذهب رأسًا ما نريده به هنا، إلى ما قصد به هو، قال:

" إذا انقسم المجتمع إلى معسكرين، كان لكل معسكر بطل مقدام يقود معسكره إلى الانتصار، لذلك صار للعربية معسكر وللإنكليزية معسكر، ولكل معسكر بطل.

ولو وقف الأمر عند أبطال الإنكليزية الذين اشتهروا بها من أول أيامهم لهان الخطب، ولكن الغريب المدهش، أن نجد رجال العربية الذين اشتهروا بها من أول أعمارهم، انقلبوا أبطال الإنكليزية فجأة، يصفّقون لها ويرقصون في ميدانها. لذلك انضممت أنا إلى معسكر العربية، وإن لم أكن فيه بطلاً، فسأظل جنديًا مجهولاً، أصفق وأرقص في حقلها، ولكن كما يقول الشاعر

لا تحسبوا أن رقصي فيكم طربًا والطير يرقص مذبوحًا من الألم

" ۞.

۞ المرجع السابق للألوري، ص ٢١.

تلك هي العراقيل التي تلتصق بعقولنا في ديارنا من الغزوة الفكرية التي صبّها الإنكليز على شواطئ بحارنا في نيجيريا قبل قيامهم منها، فكنا منها نشرب، ونستحم، ونتطهَّر، حتى ظن العلماء أن أبناءهم لو تقمَّصوا شخصيتهم، وساروا على سنتهم، لخسروا مستقبل حياتهم من رغد العيش. ولا يخافون من أن ينطمس نور العلم من ديارهم، فيحل محله الظلام. فإذا لم يكن لكل عالم خليفة في بيته من بعد موته، واستمر الأمر كهذا، فماذا يُنتظر من المستقبل الباهر للغة العربية في نيجيريا ؟... قال الشاعر:

إذا افتخـــرت بآبـــاء لهـــم شـــرف قلنـا صـدقت ولكـن بـئس مـا وُلـدوا

٦. أن يغير بعض الجامعات منهج تعليمها اللغة العربية:

في ماضي اللغة العربية القريب لا يتصور غالب آبائنا العلماء بأن اللغة العربية ستبقى لغة تبلغ دارستها هذه الذروة في المدارس الثانوية فضلاً عن تدريسها والاهتمام بها في الجامعات النيجيرية. وتعليم اللغة العربية في الجامعات النيجيرية على شكلين: محض، وغير محض.

أ- أما المحض، فنرى مثال ذلك جليًا في الجامعات الشمالية، ولا سيما في جامعة بَايَرَوْ بمدينة كَنُوْ وجامعة سَوْكَوْتُوْ ومَيْدُوغُري،ففي منهج التعليم العربي في هذه الجامعات مستقبل محمود للغة العربية، إذا لم يشوش بالإنكليزية مثل ما في

الجامعات الجنوبية. إذ التعليم العربي في الجامعات الشمالية باللغة العربية المحضة، لا بواسطة الإنكليزية التي تحتمل النفخ في غير ضَرَمٍ ۞.

ب- وأما غير المحض، فهو تعليم اللغة العربية باللغة الإنكليزية عمدًا لا عفوًا، مع القدرة على إلقاء محاضرات اللغة العربية المدروسة بالعربية نفسها، ولكن يتوارى محاضروها في ذلك خلف ستار الثقافة، لأنها كانت تدرس في أوروبا باللغة الإنكليزية ۞۞. ولا ينتبهون في أن ذلك غزوة فكرية تنحطّ بها درجة اللغة، فتأتي هي في الدرجة الثانية، حيث تأتي الإنكليزية في الدرجة الأولى عند من يتخصص في اللغة العربية.

وهذا الأسلوب شائع في تعليم اللغة العربية في الجامعات الجنوبية، وهذا ظلم للغة العربية، والنفخ في غير ضرم.

وأما الدراسات الإسلامية في الجامعات النيجيرية بحذافيرها، فهي في كلها النفخ في غير ضَرَمٍ، حيث تتعلم غالبًا باللغة الإنكليزية التي تنافي وتعاكس المضمون، وبالأسلوب الموروث

۞ والنفخ في غير ضَرَم: هو وضع شيء في غير موضعه. والضَرَمُ، النار أو الحطب السريع الالتهاب. ونفخ في غير ضرم أي في مكان لا نار فيه.

۞۞ صحّ أن تُتعلم العربية باللغة الإنكليزية، أو الفرنسية، أو غيرها في أوروبا، لأنها هي لغتهم الأمية، وليست لهم وصيلة لفهمها من المرحلة الابتدائية إلا بلغتهم الأصلية كما كانت الحال عندنا في نيجيريا، وفي كل مكان. وأما من تجاوز المرحلة الابتدائية وما فوقها واعتاد بالعربية، ثم التحق بالجامعة ليتخصص في العربية، ثم في هذه المرحلة صار تُفسر له العربية بلغة أخرى، فهذا ليس بالتخصّص بل هو التلصّص، والذين نشروا هذه الفكرة عرفوا ماذا يقصدون بها من الذهاب بعطر اللغة العربية وهم الأعداء للإسلام الألداء.

من الأوروبيين الذين كانت لغتهم اللغة الذهبية عندهم لفهم كل ما يريدون من العلوم، وبورك لهم فيها، حتى كانت لغة يتعطس إليها الجم الغفير من الناس في العالم أجمع، فأثّر ذلك في كل ما يسمى بالتعليم في نيجيريا، حتى وجدت مكانها في تعليم اللغة العربية والدراسات الإسلامية في نيجيريا، إذ هي لغة مستعمريها الأكباش.

وعلى هذا الأساس، كان محاضرو الدراسات الإسلامية في الجامعات النيجيرية، وخاصة في الجنوب، يلازمون إلقاء محاضراتهم باللغة الإنكليزية، لأنه من الممكن أن يوجد من طلابهم من لا يتقن اللغة العربية، ذلك كله تحت ستار الثقافة، والسير على آثار المثقفين للبلاد.

قلت: "لم تكن الجامعات النيجيرية هي الوالدات لهذه الفكرة، إنما بدأت في البلاد العربية بفلسفة الإفرنج الذين استعمروا البلاد العربية، وتعلموا اللغة العربية؛ ولما تذوقوها، أرادوا قتلها، وإقبارها، وحطّ من درجتها، وقطع حبل الصلة بين العرب والمسلمين، فركبوا في ذلك فيلاً، لتحقيق غرضهم فعلاً. فكان أول دعوتهم في ذلك تشجيعهم اللغة العامية العربية رميًا إلى تفكيك وحدة العالم الإسلامي، ثم تبع ذلك دعوتهم إلى كتابة العربية بالحروف اللاتينية.

يرى أكثر المهاجمين على استعمار الشرق، أن تقطيع أوصال العرب والمسلمين لا يمكن أن يتم، ما دام هناك لغة واحدة يتكلمها العرب ويعبرون بها { أي العرب والمسلمون } عن آرائهم، وما دام هناك حرف عربي يربط حاضر المسلمين إلى تراثهم الماضي. فإذا حمل المبشرون والمستعمرون العربَ على الكتابة باللغة العامية، أصبح لكل قطر عربي لغة خاصة به، أو لغات متعددة. ثم إذا هم استطاعوا أن يحملوا المسلمين على التخلي عن الحرف العربي، وإحلال الحرف اللاتيني مكانه، انقطعت صلة العرب تمامًا بأدبهم القديم والمؤلفات الدينية، واللغوية، والأدبية، والتاريخية، والفكرية. حينئذ يصبح للعرب {وحدات} لغوية فكرية غير متعارفة، ثم تتنافر هذه الوحدات مع الزمن، فيسهل إخضاعها بجهد أيسر من الجهد الذي تحتاج إليه هذه الغاية الآن ۞.

هذه من الخطة الأولى التي اختطها المبشرون في بلاد العرب لتشتيت شمل العرب، وقطع الصلة بينهم وبين العالم الإسلامي. ولقد حاولوا هذه الفكرة، فألّف لذلك الأبُ رافائيل نخلة كتابه: قواعد اللهجة اللبنانية السورية. حاول في الكتاب وضع قواعد ثابتة لهذه اللهجة، خارجة عن القواعد النحوية العامة لدى العرب، ووضع الكتاب باللغة الفرنسية والنصوص العربية

۞ مصطفى خالدي وعمر فزوخ: التبشير والاستعمار في البلاد العربية، المرجع السابق ص٢٢٤.

منسوخة بالحرف اللاتيني. ثم حاول بعده شكري الخوري تأليف كتابه: التحفة العامية في قصة فنيانوس. وهو مؤلَّف بلغة لبنان العامية، ويمثل ناحية هامة من حياة اللبنانيين ۞.

كانت الحركات التبشيرية تتلظى لإحراق اللغة العربية حينًا بعد حين، وهذا هو الدكتور أنيس فريحة أحد أساتذة التاريخ واللغات السامية في الجامعة الأمريكية في بيروت الذي تقدم ذكره، قد ألَّف كتابًا في تسهيل قواعد النحو العربي وسماه: "تبسيط القواعد العربية وتبويبها على أساس منطقي جديد". وفي هذا الكتاب ينادي على العرب بشيء من التهكم بقوله:

" يطالِب مثلاً، بعض الناس بتَبَنِّي الحرف اللاتيني تسهيلاً للقراءة، وتخفيضًا لنفقات الطباعة، ونحن من المؤمنين بهذه النظرية. ولا نرى حلاً للكتابة إلا بتبني الحرف اللاتيني وضبط الكلمات فيه مرة واحدة... وأما الذين لا يرون مشكلة في الأمر، وهم من لم يمارسوا التعليم، فيقولون: هؤلاء جماعة خارجون على العربية والإسلام !. ويطالب بعض الناس بتيسير قواعد العربية لتقرب من العامية، أو لرفع العامية لتقرب من الفصحى. فيتساءل البعض الآخر، وهل العربية معقدة لنبسطها، أو عسيرة لنيسرها ؟ إنما أنتم جماعة خارجون على العروبة والإسلام !. لماذا يثور الناس كلما طالبنا بالتيسير؟ لماذا يتهمونا بالخروج؟

۞ المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها.

الأمر بسيط، لا يدركون أن هناك مشكلة ! ولماذا لا يدركون ؟ الأمر بسيط، الجهل. الجهل عدو العرب الأكبر!" ۞.

تلك المكيدات التي يدبرها الدكتور أنيس فريحة ومن معه للعرب، ليكبكبوا على اللغة العربية، ويفصلوا بها بين العرب وبقية المسلمين، ويرون بها خلق المشاكل للعرب حتى لا يبقى ما يكون للعرب إلا الاسم والتاريخ، لأنه إذا استجابوهم في دعوة تشجيع العامية، ماتت الفصحى. وإذا استجابوهم لكتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية، قطع لسان العرب، وذهبت ريحهم.

والدكتور أنيس مؤمن بصناعته وفلسفته المضلة، ألا تسمعه يقول: " أقول لنفسي إنه يجب أن تخضع العربية لي، وأن تلين لفكري، لا أن يخضع فكري وعلمي لقوالب معينة، تروق لأذواقي جيل من الناس ماتوا منذ مئات السنين" ۞۞.

هذا، وقد سُئل الدكتور أنيس عما سيحدث للقرآن والأدب القديم من نقمته على اللغة الفصحى، وحقده على الحرف العربي، فقال:

"... ولكن للناس أن يسألوا: ماذا سيحلّ بالقرآن الكريم والأدب القديم، وجوابنا هو أن القرآن الكريم سيخلد على ما هو عليه،

۞ المرجع السابق ص ٢٢٦.

۞۞ المرجع السابق نفسه ص ٢٢٨.

كما بقيت كتب دينية عديدة رغم انحراف لغة الناس عن لغة هذه الكتب" ۞.

هذا هو جوابه على القرآن الكريم، وقد قال في حقه الحق تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} ۞۞.

هذا ما نشير إليه أيها القارئ من الحركات التبشيرية التي أرادوا أن يشوِّهوا بها لغة القرآن العظيم، ولكنهم رسبوا بمكرهم ومكيدتهم، وعلى هذه الأمنية ظلوا عاكفين حتى أصبح عليهم الصبح، وأشرقت عليهم الشمس، وانجلى الظلام.

وهذه الفكرة بتمامها هي التي سرت وتسربت إلى منهج تعليمنا للغة العربية والدراسات الإسلامية في هذه الديار، خصوصًا في جامعاتنا؛ فيا ليت المسؤولين يعيدون النظر في هذه البرامج. فيعطوا ما للعرب للعرب، وما للإفرنج للإفرنج، فيتعلم العربية من يتعلمها بلغة القرآن، ويتعلم الإسلامية من يتعلمها بلغتها الأصلية، وإن احتاجوا إلى شرح عويص، استعانوا بالإنكليزية أو بأية لغة ممكنة للحصول إلى الغرض المطلوب.

وأما إذا استمر الأمر كهذا في هذا العصر، فلربما يستجيب المستقبل لدعوة أمثال هؤلاء الخارجين على العروبة والإسلام، لأن باستمرار ذلك سيتهاون شأن العربية شيئًا فشيئًا بمرور

۞ المرجع السابق والصفحة نفسها.

۞۞ سورة الحجر الآية ٩.

الأيام، وينتشر ما يعرف بـ{ Transliteration } إن لم نعضّ على جوهر اللغة العربية بالنواجذ.

هذا محض ما أرى مما يرفع درجة اللغة العربية إلى المستوى العالي في المستقبل في هذه الديار، ذلك إذا عملنا بها واتبعنا مضموناتها. وأما إذا أهملناها وضربنا بها عرض الحائط، جاء الأمر بالعكس، وانتهى إلى ما لا يحمد عقباه. واللبيب بالإشارة يفهم، وبالقياس يزول عنه الالتباس.